واحد القهار ؛ وهذا منتهى ما يبلغ إليه المديح ، فالخليفة ظل الله على الأرض فيما يقولون ، وهو شجاع وكريم ، ولكنه لن يرقى رقى الأنبياء ، ولن يبلغ مقدرة الإله ، وإنما هو الشعر المتكسب يخدع الناس ويصور لهم البشر أنبياء وآلهة ؛ وما ذلك إلاّ لأنه ضاق ذرعاً بالمعانى المطروقة والألفاظ المعروفة فأراد أن يخرج عن الحدود المرسومة والسنن المعلومة ، فسقط فى التهويل والكذب والمبالغة ، فقال الصابى يمدح عضد الدولة :

صلّ ياذا العلا لربك وانحر ... كل ضدّ وشانئ لك أبتَرْ
أنت أعلى من أن تكون أضاحيـ ... ـك قروماً من الجمال تعفَّرْ
بل قروماً من الملوك ذوى السؤ ... دَدِ تيجانُها أمامك تُنْثَرْ
كلّما خرّ ساجدًا لك رأسٌ ... منهُمُ قال سيفُك : الله أكبرْ

وجعله فى مقام الإله يسجد له الناس ، صاحب طغيان وجبروت يفوق البشر ويغلب الأقدار . وليس ذلك كثيراً إذا قيس بالزعفرانى حين قال فى ممدوحه :

أنتَ الذى دِنْتُ بالسجود له ... حتى لقد قيل : ربّه صَنَمُ

ولا تسل عن غلو المجوس والفرس الصابئة فى مديحها للملوك ، وتفضيلها للفرس على العرب ، وذلك للضعف السياسى الذى أصاب الأمة العربية ، وقسمها شيعاً وأحزاباً ، فضاعت الموازين واختلت المقاييس ، وركب المديحَ كذبٌ ليس فوقه كذب ، وكان ذلك مؤذناً بخاتمة هذا الفن ومصرعه على أيدى هؤلاء الغلاة .